

خطاب لغة الجسد الأنثوي في رواية زيتون الشوارع لـ إبراهيم نصر الله

The Discourse of Female Body Language in Ibrahim Nasrallah's Novel Olive in the Streets

آلاء محسن حسن

كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق: alhassenyalaal@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/12/29

تاريخ القبول: 2024/01/12

تاريخ النشر: 2024/12/30

ملخص:

تقوم هذه الدراسة على مقارنة لغة الجسد وكيفية توظيفها في إنتاج الخطاب الروائي، متخذين من رواية (زيتون الشوارع) لـ إبراهيم نصر الله مثالاً، فلغة الجسد لا تقل أهمية عن اللغة البشرية المنطوقة، بل هي سلوك حركي يصاحب اللغة المنطوقة في كثير من الأحيان، لغرض توضيحها أو توكيدها، انطلاقاً من هذا تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن لغة الجسد وأغراضها الدلالية في صناعة إبراهيم نصر الله لخطابه الروائي الذي يشمل خطاب الأعين، وحركات الأيدي، وهيئات الجسد المختلفة وغير ذلك مما يندرج تحت التواصل الجسدي.

Abstract :

This study is based on the approach of body language and how it is employed in the production of fictional discourse, taking the novel (Olive Olives) by Ibrahim Nasrallah as an example. Clarifying or emphasizing it, based on this, this study aims to reveal the body language and its semantic purposes in Ibrahim Nasrallah's making of his fictional speech, which includes the speech of the eyes, the movements of the hands, the different bodies of the body, and other things that fall under physical communication.

مدخل : مفهوم لغة الجسد

تعد لغة الجسد مظهراً من مظاهر الاتصال غير اللفظي الذي يتم بين الناس، وتعرف على أنها "الإشارات الدالة على معانٍ يعينها بجزء من أجزاء الجسد" ⁽¹⁾، وهي لا تقل أهمية عن اللغة اللفظية أو المنطوقة فكلاهما غايتة الفهم والإفهام، و "الاختلاف بينهما ينحصر أو يكاد ينحصر في أن وحدة الحركة الجسمية والإشارية وحدة لغوية صامته تعتمد على العين في حين تعتمد الوحدة اللغوية اللفظية المنطوقة على الأذن" ⁽²⁾.

إن مفهوم لغة الجسد يجري " على كل ما يكون من الجسد حاملاً لرسالة ليست فيه بما في ذلك جميع الجوارح من اليد أو الذراع أو الأصابع أو العين أو سائر ما تكون به الإشارة منها ، وتجري حركة الجارحة على جميع الحركات بمختلف أنواعها كائنة من الأصابع أو اليد أو الذراع أو من جميعها مزمنة للقول ومصاحبة له مصاحبة عفوية لا إرادية آلية أو غير مصاحبة له ، ويمكن توسيع حركة الجارحة لتشمل قسمات الوجه في مظهرها التعبيري وما شابه ذلك من إشارة بالعين أو الشفة وما إليها " (3) ، لذا كانت لغة الجسد " هي كل ما يصدر عن جسم الإنسان من حركات إيماءات أو تعابير وجه ، أو من خلال المظهر أو الصوت أو تغيراته ، سواء كانت إرادية أو غير إرادية فطرية أو مكتسبة ، وتؤثر في عملية الاتصال بين المرسل والمستقبل " (4) ، أو هي بحسب رأي علماء علم النفس " الحركات التي يقوم بها بعض الأفراد مستخدمين أيديهم أو تعابير وجههم أو أقدامهم أو نبرات صوته ، ليفهم المخاطب بشكل أفضل المعلومة التي يراد أن تصل إليه وغالباً ما تستعمل من قبل شخص غير قادر على التعبير عن نفسه بالكلمة فقط فيعمل على إيضاح كلماته بحركات من يديه أو جسمه بشكل أو بآخر ، أو أن الشخص المستقبل للكلمات لا يستطيع استيعاب كلام المرسل ، فيحاول المرسل لإيضاح كلماته عبر بعض الحركات التوضيحية ، ولغة الجسد مثل أي لغة تتألف من الكلمات والجمل وإشارات الترقيم ، فإن كل إيماءة كما الكلمات المفردة يمكن أن يكون لها أكثر من معنى " (5) . وهنا يبرز دور لغة الجسد في تعزيز المعنى وإيصاله للآخر بصورة أقوى .

أما عن الوظائف التي تحققها لغة الجسد فهي لا تقل أهمية عن تلك التي تحققها اللغة اللفظية ، إذ أن لغة الجسد " تتم معنى اللفظ أو توضحه أو تؤكد أو تنوب عن اللفظ أحياناً ، بل أن لغة الجسد كثيراً ما تكسب اللفظ دلالات سياقية بشكل أو بآخر (مثلاً : لتعابير الوجه أثر واضح على دلالة التحية التي تلقى ؛ فرحاً أو غضباً أو حزناً ..) ، الأمر الذي يجعل لغة الجسد تسهم - إلى جانب الألفاظ - في تشكيل الخطاب " (6) ، وتكمن أهمية لغة الجسد في قدرتها على فهم الحالة النفسية والشعورية للأشخاص من خلال حركاتهم عندما " يتكلم الجسد بينما يبقى اللسان صامتاً ولا يدري صاحبه أن جسده يفشي بأسراره للآخرين ، نعم فحركات الجسد تبني بمكنون النفس ، لأن الحركات التي تصدر عن الإنسان في مقابلة ما ، تترجم إلى معاني عدة ، والتواصل الإنساني لا يتوقف عند حدود الكلمات المنطوقة أو المقروءة أو الحركات المتعمدة كالتقطيب أو التبتسم أو المعانقة أو المصافحة مثلاً ، هناك حركات لأجسادنا لا نشعر بها هي تحت عدسة علماء النفس كاشفة لشخصياتنا وما تضرر من شعور " (7) .

من خلال ما تقدّم القول أن لغة الجسد هي رسائل تواصلية تكون مصاحبة للغة المنطوقة أو اللفظية بطريقة عفوية هدفها تأكيد الدلالة أو المعنى ، أو إكمال النقص الحاصل في المعنى .

- لغة الجسد في رواية زيتون الشوارع وأنواعها

رواية (زيتون الشوارع) هي رواية من سلسلة روايات الملهاة الفلسطينية للأديب الفلسطيني إبراهيم نصر الله . لقد تناول الكاتب في هذه الرواية قضية حساسة تتعلق بانتهاك جسد المرأة واغتصابها ، وهذه القضية تمثل موضوع الرواية الأساس الى جانب قضية المنفى وما تعرّض له الإنسان الفلسطيني من تقلبات الأحوال خارج وطنه .

لما كانت لغة الجسد تقوم على فكرة التواصل من خلال اللغة الصامتة ، فإن لها عظيم الأثر في تشكيل الصورة السردية في هذه الرواية ، ذلك لأنها تمثل " وسيلة التعامل بين الناس بدون الكلمات المحكية التي نستخدمها في كل جوانب التعامل مع الآخرين . إنها تشبه المرأة التي تخبرنا بما يفكر به الآخرون . وهي تترجم أو تحت باستخدام الحركات ، الإشارات ، الوضعيات ، نبرة الصوت والمسافات . وهي بلا شك وسيلة جبارة لتطوير شخصيتك كلياً . إنها بالأحرى الوسيلة غير الناطقة ، الأكثر استعمالاً وإيهاماً في هذا العالم " (8) .

لقد زحرت رواية (زيتون الشوارع) بلغة الجسد ، كلغة الأعين ، وأوضاع الجسد وهيئاته ، وحركات الرأس والأيدي وغيرها وسنعالج أنواع لغة الجسد هذه في الصفحات التالية .

أولاً: لغة اليد ودلالاتها

تمثل حركات الأيدي وسيلة من وسائل التواصل مع الغير ، و " سلوكاً إشارياً بالغ الأهمية ، لأنها تقوم في النظام الإشاري في الجسم مقام اللسان في النظام اللغوي الصوتي " (9) ، وهي تصدر عن المتكلم بصورة إرادية لكي تؤدي وظيفة جمالية في التعبير عن المعاني المختلفة وهو ما سنراه في النماذج التي سنوردها : فعلى سبيل المثال يقول السارد : " تقدّمت الست زينب مني ، أمسكت يدي ، ضغطت عليها بحنان ، فرحة كانت ، وكنت ضائعة ، وحزينة ، لكنني في النهاية ضحكْتُ حين قالت إحدى الأمهات للست زينب : - المسرحية حلوة .. بس ما كنا بنعرف إنه بناتنا بمثلن مع الشباب والرجال " (10) . فلغة اليد الموظفة هنا جاءت لتوطد التواصل بين الست (زينب) و (سلوى) ، فالست (زينب) من خلال لغة اليد تنقل رسالة اهتمام بـ (سلوى) ، مكثفة حضورها الجسماني بلغة اللمس ، فلغة اليد هنا تعزز التواصل بين الجسمين من خلال اللمس الذي يعد قناة تواصلية فاعلة في نقل التفاعل ومشاعر الاهتمام بين الست (زينب) و (سلوى) في أصعب المواقف التي تقف اللغة عاجزة عندها .

وفي نموذج آخر يقول السارد: "لم أكن قد لَوَحْتُ له ، لم يكن قد ابتعد لينظر خلفه كعادته ، يبتسم ، وترتفع يداه في الهواء ، بتلك الحركة الفرحة التي تشبه الجناح ، حين رأيته يعلو في الهواء وهوي. ركضتُ ، تعثرتُ ، صرختُ. ولم تمهله الرصاصة ليقول: آه. رحتُ أسد الثقب بيدي ، وأضغطُ على صدره ، نجحتُ ، وقبل أن انتبه ، كانت بركة دم تتجمع تحته ، باحثة عن مسارب لها ، تحاول أن تمضي به ، أن تستله من يدي." (11). في هذا النموذج تحاول (سلوى) أن تضع يدها ضاغطة على جرح حبيبها (أمين) الذي قتل برصاصة مجهولة ، ففي هذا الموقف الصعب يكون الضغط باليد على الجرح قوياً ليعكس لغة الغضب الموجود في داخل العاشق (سلوى) ، ورفضها لهذه الحادثة التي قام بها أناس مجهولين ، كونها ستفرقها عن خطيبها وحبيبها المناضل والفدائي (أمين) .

وفي دلالة أخرى لحركة اليد يقول السارد: " دخلت معلمة العلوم الصف ، فوجئت بطالبات يضربن المقاعد بقبضاتهن ، ويصرخن معاً: بدناش إياك .. بدناش إياك !! " (12). يعكس هذا المقطع حركة جسدية تخرج عن المؤلف ، فحركة أيدي الطالبات بهذه الطريقة ليست مجرد حركة عضوية بل تتحول الى حركة دلالية ، تدخل كإشارة مساعدة في تبين الدلالة المبتغاة منها ألا وهي رفض معلمة أخرى غير الست (زينب) معلمة لمادة العلوم ، فعندما توجه اليد بهذه الطريقة دليل على الرفض القوي .

وفي دلالة جديدة من دلالات اليد يقول السارد: " دخلت غرفة المعلمات . على الطاولة رأتها تلمع برصاصية شاحبة ، رزمة المفاتيح . تناولتها وخرجت . أقلقها صمت الممر ، ارتجفت يدها قرب باب الصف ، دفعته ، كما لو أنها تتوقع أن يفاجئها أحد ما بحركة تخيفها " (13).

ان الذات هنا تحاول ان تقيم جسرا تواصليا بينها وبين المدرسة من خلال الوسيط الذي هو (باب الصف) ، إن الباب تعد جسماً صامتاً إلا أن الذات تنزلها منزلة الإنسان . فهي تتواصل معها من خلال الشعور بها ، فالذات بلمسها للباب تبني جسرا تواصلياً للتعرف على الباب وما يمكن ان تخفيه وراءها من مفاجآت غير متوقعة ، تعبيراً عن الشعور بالخوف من المجهول ، ف" الحس يحمل معنى الشعور بالشيء والاتصال به ، هذا ما ترجمته الذات بالشعور " (14).

ثانياً: لغة العين ودلالاتها

وظّف إبراهيم نصر الله مفردة العين في روايته (زيتون الشوارع) بشكل كبير ، وذلك لأن العين " أوضح ما يُرى من الجسم ، وأظهر ما يتكلم بصدق وإن سكت اللسان عن البيان ، وهي مرآة الفكر ومرآة الحياة ، وهي السبيل الى معرفة الأشياء ، والتعرّف عليها ، ورسم صورتها في الذهن " (15)، وللعين قيمة تعبيرية وجمالية فنية ذلك " إن العين رائية ومرئية ، باثة ومتلقية ، تنقل المعلومات من داخل

الجسد الى الآخر ، تنقل الخبر بع عمق في الحس ، بما يتبعه من متعة جمالية وبصرية وبما تولده من خطاب معبر يتجاوز الصمت الى الإبلاغ والتواصل ، فالنظر وسيلة الجسد التواصلية الأولى ومعظم العلاقات تبني في أساسها من الانطباعات الأولى من خلال النظر ولغة العين التي قد تكون ثواني معدودات ، لكن الأثر يبقى طويلاً ، والعين تعطي إشارات الاتصال البشري الأكثر كشافاً ودقة⁽¹⁶⁾ .

تعد العين من الحواس الضرورية في عملية التواصل بين البشر وغير البشر ، والإشارة بها " من أبرز أشكال الإشارات المرئية على المعاني وربما كانت لها أهمية خاصة ، من بينها صلة طرفيها المباشرة بالإنسان ، فالإنسان هو موجدتها بعضو من جسده ، وهو متلقها بعضو آخر منه ، شأنها في ذلك شأن الصوت اللغوي ، ولعل هذا التناسب بينها وبين الصوت هو الذي مهّد السبيل لاستحقاقها الوصف بمصطلح لغة⁽¹⁷⁾ ، الذي يحمل من الدلالة الكثير مما يبين مشاعر حاملها وحالته النفسية . ويبقى التواصل بالعين من الأساليب الفعالة ؛ لأنه من الأفعال الغريزية كما أنه متصل بأنماط البقاء البدائية لدى البشر⁽¹⁸⁾ . وللعيون في رواية (زيتون الشوارع) دلالات سلبية وأخرى إيجابية سنتعرف عليها في النماذج التي سنوردها .

في أحد النماذج تقول (سلوى) : " الله لو رأيت دهشتهم حين اكتشفوا أنني أصبحت طويلة الى هذا الحد . الله لو رأيت عيونهم وهي تتابعني بحسد . وكيف ترمقني بنات الحارة بتلك النظرات . كنت أقول لهن : لتبحث كل واحدة منكنّ لها عن حبيب . وهل تعاني الحارة من قلة الشباب ؟! وحين أراه أقول : آه .. والله إنها تعاني ونص⁽¹⁹⁾ . إن خطاب العين من خلال تفكيك شفراته ، يعكس ذاك الكبت العاطفي الذي تعيشه الذات ، وعطش بنات الحارة للحب من خلال تتبعهن (سلوى) ، مما يعكس اشتغال المخيال الأنثوي حينما استهواه الحب ، إذ يدفعه الى تتبعه والى إرواء ذاك الشوق من خلال تتبع (سلوى) بحسد .

وجاءت العيون في رواية (زيتون الشوارع) لتدل على الغضب باستخدام صفة الاحمرار ، يقول السارد : " - يا لينا يا مجنونة .. وجهك زي الليمونة ! كانت تضايقها تلك الكلمات ، تلك الكلمة : (مجنونة) ، فأطلقت تلك الشتائم المعيبة التي يتمنى الأولاد سماعها ، الشتائم التي لا طعم للأزقة دونها ، ولا للحارات . ركضوا خلفها ، لكنها فجأة توقفت ، حدّقت في وجوههم بعينين محمّرتين ، فتخشّبوا في أماكنهم⁽²⁰⁾ . فالعيون الحمراء استخدمت دليلاً على الغضب الذي يبدو من خلال العين ، وأما عبارة (فأطلقت تلك الشتائم المعيبة) فتساعد الكاتب أن يرسم صورة واضحة من الصراع اللفظي بين (لينا زوجة خميس الزّبال) وأولاد الحارة ، فتبين العيون المحمرة والشتائم شدة

غضب (لينا) ، وهذه الخشونة متجلية في عينيها من خلال استخدام لفظة الاحمرار للعيون عند الغضب .

في دلالة أخرى من دلالات لغة العين يقول السارد : "سحبت الكرسي ، استندت الى الطاولة بيديها ، ولأول مرة في حياتها ، وجدت نفسها محرجة ، محرجة تماماً ، حين رأت أعين الطالبات تنصبُّ عليها ، ثم تنخفض نحو الأوراق البيضاء ، وتعود لتحَدّق من جديد ، كما لو أنهن لا يكتبن ، بل يرسمنها (.....) وقفت إحداهن ، جمعت الأوراق من الطالبات ، تقدمت نحو الست زينب ، وقالت : هذه لك . نظرت إلى الورقة الأولى ، عنوان كبير (الست زينب) وضعتها بهدوء ، وقرأت في الثانية (الست زينب) . في الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، الخمسين (الست زينب) . خمسون ورقة في وصفها ، في إحساسهن بها

- نكتب كل مرة عن أشياء نعرفها ، وأشياء لا نعرفها ، ولكننا هذه المرة أردنا أن نكتب عن نحب ."⁽²¹⁾ . نواجه في الرواية حب الطالبات للست (زينب) حباً صادقاً يتجلى بأحسن صورة في عيونهن ، فالخطاب الذي نسجت العين خيوطه هذه المرة يؤسس لدلالة الحب بين (الست زينب) والطالبات بشكل صريح ، فالخطاب العيني جاء متماشياً وسياق التصريح ، والسؤال من الست (زينب) مؤشر على اهتمامها بالطرف الآخر (الطالبات) وبوجوده ، وعندما نسأل شخصاً فنحن نهتم لأمره ، لأن العين تفهم إشارة العين وتعرف وحيا وأسرارها ، وهذا ما يعكس قمة التقارب والانسجام بين الطرفين .

والخوف دلالة أخرى من دلالات العين في الرواية ، تقول سلوى : "كنت فوق الحافة ، أحدّق في الهوة بعينين فرعتين ، أريد أن أُلقي بنفسي : وأحسست بأن الفضاء وحده تحتي ، وأنني ن سقطت ، لن أصل أبداً . سأظلّ معلقة بهدوء دون أن يمسنني سوء ، وأطلت الست زينب ، لا أعرف من أين"⁽²²⁾

يعدّ الخوف حالة شعورية يعيشها الإنسان ، وترجمها لغة الجسد من خلال رموز وحركات معينة أبرزها إيماءات العين ، التي تبث رسالة لغوية محملة بتعبيرات انفعالية ، نستقرأ منها الحالة الشعورية للشخصية (سلوى) والموقف الذي أدى الى إنتاجها ألا وهو الخوف ، فمهمة لغة الجسد فضح الحقيقة الانفعالية التي تعيشها الشخصية مهما حاولت إخفاء ذلك الغموض الذي انتابها ، وقد هيمن على عيون (سلوى) خطاب الخوف من المجهول ، ومن القادم الغامض ، فالصمت يغلف الذات ، والعين ترتعش وتضطرب ، مما يدل على مشاعر الخوف والحزن ، تأثيراً عميقاً بما حدث لها .

ثالثاً : أوضاع لغة الجسم وهيئته

ويقصد بالهيئة الجسدية " الحالة التي يكون عليها الجسد في المحسوس أو المعقول (المتصور في ذهن ، كهيئة خفض الجناح الواردة في قوله تعالى " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة " التي تُحمل على الخضوع وحُسن الخلق) " (23) ، وتشمل الهيئة الجسدية الأوضاع والحركات الجسمية التي يتخذها الإنسان وهي تمثل " نظائر الحركة الجسمية ، وتشمل طريقة الوقوف والقعود والمشي " (24) . ولم تغب الهيئات والأوضاع الجسدية عن وصف إبراهيم نصر الله لها في روايته (زيتون الشوارع) ، إذ تصف لنا الرواية الحالة المزرية التي يعيشها الجسد (جسد سلوى) في قولها : " ثلاثة أيام متواصلة لم أطأ فيها عتبة المدرسة . تحت كومة عالية من الأغطية اختفيتُ . كلما وضعوا لحافاً طلبتُ آخر ، حتى تجمّع كل ما في البيت فوق جسدي . كنت أرتجف . أرتجف من الحَيّ ، من أن يصلني عَمّي ، لكي يظل أخوأي الى جانبي ، لكي أمتنع فمي من أن ينطق كلمة واحدة ! لكي أظل خرساء ! وفجأة تمنيتها الى جانبي . بزغ وجهها في تلك العتمة اللانهائية هناك تحت الأغطية : الست زينب . وكنتُ أصرخ في عمتي : أريد أُمي . فجاء صوته من خلف عالم الظلمات الرابض فوق صدري : - لا تجيبي سيرتها على لسانك ! " (25) .

يصوّر المشهد السابق الذات (سلوى) وهي تصارع المرض ، من خلال صعوبة النهوض والبقاء تحت الأغطية ، ثم تحاول هذه الذات النهوض والتشبث بالحياة من جديد من خلال فعل التمني المتمثل برؤية حماتها وأقرب الناس لها (الست زينب) التي عوضت بها عن حنان الأم المفقود ، والصراخ مطالبة برؤية أمها التي حُرمت منها .

وفي مشهد سردي آخر ، يقول السارد : " وفجأة انطلقت خلف الصبي ، عبر عتمة الدرج ، مهرولة ، لم تكن تعرف تماماً كيف أصبح باستطاعتها نزول درج بهذه السرعة ، لقد وصلت الى حيث الحمامة ، وكأنها لم تكن تستخدم قدميها . وصلت كما لو أنها قد هوت . وخلفها لم يكن عبد الرحمن قادراً على فعل شيء . سوى ان يصل الى الشباك ليراقبها وهي تبتعد الى غير رجعة ، هكذا ظنّ . من يخرج بهذه الطريقة لا يعود . لكنها وقفت هناك على الرصيف وبيدها الحمامة ، الحمامة التي استلتمها من بين يدي الصبي ، وراحت تنفخ في فمها ، محاولة إنقاذها . وجاء صوت عبد الرحمن من الطابق الثالث : ماتت ؟!

- لأ .. لسه !!

لكن سلوى ، لم تدرك لحظتها ، أن سقطت كهذه لن تعيد الحمامة الى جناحها من جديد . تنفسّت الحمامة ، رقت ، فتحت عينيها . وكأنها أرادت أن تقول شيئاً ، شيئاً مهماً لم تفهمه سلوى . أعادتها للصبى .. وراحت تصعد الدرجات بغير الخفة التي صعدتها بها أول مرة " (26) .

تنوّعت لغة الجري أو السير في هذا المشهد بين الهرولة والاضطراب والوقوف ، مما يعكس إشارات الخوف المنبعثة من (سلوى) على الحمامة من أن تموت ، محاولة الوصول اليها وإنقاذها في الوقت المناسب لكنها لم تستطع ، وعادت سلوى الى الغرفة ولكن هذه المرة بخطوات متباطئة (وراحت تصعد الدرجات بغير الخفة التي صعدتها بها اول مرة) وهنا تعكس لغة الجري الاحساس العميق بوطأة الجسد المنهك والمتناقل الخطى تحت وطأة الألم المنبعث من موت الحمامة ، وهي لغة تحاول الذات فيها جر جسدها المثقل .

وفي دلالة أخرى من دلالات لغة الجسد ، يقول السارد : " وجاءت الست زينب ، استندت الى اللوح . وظلّت صامته ، وكنا نسمع نبضاتنا تعلو وتعلو ، وانتهت الحصة ، دون أن تحرك أي جزء من جسمها . ودخلت المديرية : ستنظف المدرسة أسبوعين كاملين ، مفهوم !! وخرجت . كانت المكانس في انتظار الطالبات ، أوعية المياه ، المماسح ، وخرق تنظيف النوافذ . بصمت اختارت كل واحدة منهن دورها . وظلّت الست زينب واقفة هناك كما لو أنها تحوّلت الى قطعة من خشب ، وحين لم يبق سواها هناك في الغرفة ، تحركت ، تبعتهن صامته ، تناولت جردل ماء وممسحة ، فاندفعت أكثر من طالبة لمنعها ، أبعدهن بإشارة من يدها ، وراحت تشطف الأرضية الى جانبيه ، الأدراج ، حواف الجدران السفلى ، بصمت كامل لمدة أسبوعين . لقد فشلت . قالت للمديرة ، وكان عليّ أن أعاقب معهن ! " (27) .

إن النسيج اللغوي للغة الجسد الذي هيمن على الواقع اللغوي للمدونة السردية في هذا المشهد ، يصرح بدلالات جسدية عاجت كل واحدة من الدوال اللغوية مع ما يلائمها وطبيعة الرسالة التي تبثها ، فالصورة التي يمكن استشرافها من هذا النموذج ، تعكس أولاً : غياب الجسد كواقعة حقيقية في الوجود من خلال تجمد الجسد وتعطله عن العمل وتحوّله الى قطعة من الخشب ، فالغياب هنا كان على الصعيدين البيولوجي والأيدولوجي حينما توقف الجسد من التعبير عن ذاته ، والدلالة الثانية التي يمكن أن نستشفها هنا هي جسد متحرك وقادر على العمل من خلال مساعدة الطالبات في تنظيف غرفة الصف ، وهي لغة تحاول الذات فيها استعادة جسدها المثقل بالهموم والألم .

وفي مشهد سردي آخر للست (زينب) ، يقول السارد : " واكتشفت الست زينب سبب فرحتها بأيام العطلة الصيفية ، حيث الجلوس في المنزل ، ثلاثة أشهر كاملة دون أن تبلغ عتبة الباب الخارجي . لكن

جاراتها كنّ يسألنها في طريقهن الى السوق عما تحتاج ، ويحضرنه لها ، وقد ظلّ يدeshهن أنها كانت جاهزة دائماً ، بكامل ملابسها ، وتسريحة شعرها ، وحذاءها ، وكأنها على وشك الخروج .

- ستخرجين اليوم ؟!

- لا ...

- وتعيد امرأة أخرى السؤال ..

- لماذا اخرج يا سلوى ، كل ما أملكه في هذه الغرفة ، إذا فقدته لن يبقى لي شيء ، وهم ، لم يتركوا لنا شيئاً ، فلماذا أخرج ، لم يبقى سوى قليل من الذكريات ، هي حياتي كلها ، سأجلس الى جانبها ، سأجلس فيها ، كما تجلس فيّ ، ربما أستطيع أن أحميها ، إذا ساعدني هذا ، وتشير الى رأسها ، ماذا هنالك في الخارج يا سلوى ؟! لا شيء ! سأغلق الباب جيداً ، سأغلقه . لا شيء ، لا شيء في الخارج هناك !! (28) .

يبدأ المشهد بلحظة استثنائية يعيشها جسد الست (زينب) في اللحظة الراهنة ، حالة الجسد وهو جالس في البيت ، مما يعكس حالته المزرية وهو يصارع من أجل الحياة أو ما تبقى منها ، إذ تستحضر زينب ذكرياتها مع زوجها وابنها أمين في محاول الذات مصارعة إلغاء جسدها أو فكرة تلاشيها وتشبثها بالحياة من خلال البقاء في البيت الى جانب ذكرياتها وعدم الخروج خوفاً على ما تبقى منها .

رابعاً : لغة الوجه

تشكل مفردة الوجه في رواية إبراهيم نصر الله (زيتون الشوارع) حضوراً قوياً ومهماً ، إذ تنوعت صور ورودها ضمن شبكة بنيات النص ، ذلك أن الوجه " هو الواجهة الاجتماعية الأولى والميزة الاجتماعية فيه ، عكس مظاهر الناس المختلفة لأن الإنسان يطلق لعينيه مجال الإبصار . ليحقق الانطباع الأولي من خلال صفحة الوجه ، مستقرناً كل نشاط إيمائي تقوم به وحدات الوجه المختلفة ومن خلالها تتحدد نوعية العلاقة بين مرسل ومتلقٍ في ظل تفسير هذه الإرسالية البصرية " (29) .

في إحدى مستويات الدلالة المتنوعة للوجه في نص (زيتون الرواية) يطالعنا الوجه الهوية فما " يميز الوجه الإنساني في الأساس هي وحدانيته وتعبيريته . فالوجه ينتمي لذاتيته ويتركز في هذا التركيب الخاص والوحيد في كل مرة للعينين ، للأنف ، لارتسام الوجه ، الذي يبرز حقيقته في تجسد الكائن البشري " (30) ، يقول السارد : " تمّنى عبد الرحمن .. أن يقترب منها ، أن يلمسها ثانية ؛ يسحره هذا التبدّل في ملامحها ، بين الحزن والفرح ، بين المرأة والطفلة . كان بإمكانه أن يبتسم معها وأن يضحك

أيضاً ، لكنه المشدود الى ملامحها بقوة أحسّ بشهوته تتقد أكثر والحزن يغمر وجهها . وللحظة تمنى أن تكون في ثوب أسود ⁽³¹⁾ . فالوجه هنا هو سمة التعريف والهوية وعلامة تفرّد بها جسد البطلة (سلوى) ، فوجهها تتبدل ملامحه وتتغير ليقدم لنا معاناة الجسد الهوية فيما يحيط بها من محيطها الثقافي ، ف " عند اكتشاف وجه يعاين المرء تجربة وجدانية لشخص ما " ⁽³²⁾ ، والتجربة التي يبثها الجسد هنا مغلفة بالسواد والحزن ، وهذا يأتي من الهوية المطموسة والمشكلة مسبقاً من طرف المحيط ، فقد غاب حضور الوجه هنا من غاية تغيّب الهوية وحضور الشخص .

وفي دلالة أخرى من دلالات الوجه في رواية (زيتون الشوارع) يطالعنا الوجه النافذة ، ذلك " لأن الوجه تحية تعابير تترجم الانفعالات الأشد عمقاً والتي تجعله فريداً ، فالوجه هذا التعبير الممتاز يصوغ الكلمة الأولى الدال الظاهر في طبيعة العلامة كعنين تنظر إليك " ⁽³³⁾ ، ومثاله قول السارد " تعرفين تلك هي المرة الوحيدة حقاً ، التي فكرت فيها بترك التدريس الى غير رجعة ، ولكن شيئين جعلاني أعدل عن القرار : ذلك البكاء الحارق من قبل الطالبات ، ووجهك يا سلوى " ⁽³⁴⁾ . في هذا النموذج كان الوجه نافذة على الحزن والانكسار الداخلي الذي تعيشه (سلوى) جراء شعورها بفقدان الست زينب مما جعل الأخيرة تعدل عن قرارها بترك المدرسة .

وقد يكون الوجه مرآة الإنسان الخارجية تتجل فيها الصفحة الداخلية ، بما فيها من أحوال نفسية ، كما في هذا النموذج " كان يهمني ألاّ تعرف الست زينب بما يدور فيّ ، ويحدث معي ؛ ولذا ، كنتُ أختبئ هناك ، أغوص في لزوجة الخجل ، في طينه ، ودبقه ، أنا التي كنت أتمنى أن أخرج من نفسي لأضحك من كل قلبي ولو مرة واحدة . كنتُ أحفر أعماق وأعماق في رمل روحي لأدفن سري الذي تعريه عواصف التعب والإرهاق كل صباح ، فيطلُّ برأسه عبر ملامحي ... " ⁽³⁵⁾ . فالوجه هنا انعكست فيه معاناة (سلوى) الضائقة في حياتها ، من تراكم الهموم والتعب والألم من جراء تعرضها للاغتصاب من قبل عمها الذي هو بمثابة والدها (سفاح القرى) وأحد المسؤولين المهمين من ذوي النفوذ ، والحزن بعد استشهاد خطيبها (أيمن) على أيدي أناس مجهولين .

● والوجه النور هو دلالة جديدة من دلالات الوجه ، إذ أن " البياض هو دليل الشعور بالفرح والسرور ، ومن إشراقه وإسفاره وإشراق لون الوجه ، علامة على النور بين يدي الشخص ، لما فيه من نيل البغية والظفر بالمنية يكتسب الوجه معها طراوة وسرور ونظارة في الوجه " ⁽³⁶⁾ ، ومثاله قول السارد : " وفجأة تمنيتها الى جانبي . بزغ وجهها في تلك العتمة اللانهائية هناك تحت الأغطية : الست زينب . وكنتُ أصرخ في عمتي : أريد أمي . " ⁽³⁷⁾ . ورد هنا الوجه

ليشكل جزءاً من بناء الوحدة الدلالية الكبرى الدالة على النور ، إذ يصبح وجه الست زينب مصدراً للنور الذي يعيد لجسد (سلوى) ضوئه ونوره وسط العتمة التي تحيط بها .

خامساً : دلالات هيئة الرأس

جاءت حركة الرأس في رواية زيتون الشوارع في وضعيات عدة ، فكانت كل حركة تحمل معنى يوافق السياق الذي وردت فيه وتقوم مقام الكلمة في اللغة ، كما يمكن للرأس أن يؤثر في الآخر من خلال حركاته المتنوعة .

أولى دلالات حركة الرأس في رواية (زيتون الشوارع) هي دلالة الانكسار (الرأس المنكسة) التي تتجلى في قول السارد : " هو الآن يخشى صوتها تهّدها في لحظة ما ، دمعة نزفتها ، رأسها الذي كان يختفي بين راحتها باحثاً عن ملجأ ، دورانها حوله ، صوتها الذي يوشك أن يختفي بفعل غصّة أو موجة صراخ ، ابتعادها عنه باتجاه الباب ، عودتها وهي تنشب أظافرها في الكمية الضئيلة من الهواء في تلك الغرفة"⁽³⁸⁾ . يصف نصر الله في هذا المشهد حالة الدمار والمعاناة التي تعيشها (سلوى) بفعل الظروف المحيطة بها والمتتمثلة بفقدان الأم والحبیب والتعرض للاغتصاب من قبل عمها ، وهذا ما انعكس على حركة الرأس الى الأسفل وتغلغلها في الجسد ، إذ تشير الى حالة من التوحد والانغلاق التي تعيشها الذات مع نفسها ، ف " العزلة التي تعيشها الذات هنا ، هي نوع من الانسحاب الى الداخل ، بحيث تتضاءل وتتمركز في كينونة أنويه موحدة زمانياً ومكانياً"⁽³⁹⁾ .

أما الدلالة الأخرى من دلالات حركة الرأس في الرواية فهي دلالة قوة النفاذ ، تقول سلوى متحدثة عن الذي حصل بينها وبين عمّها : " كل ما لدي من قوة تجمّع هناك في رؤوس أصابعي . عندها ثبت ظهره في طرف الممر ، ووضع إحدى قدميه في ظهري ، ودفعني غير آبه بشيء حتى موتي . فوجدت نفسي أرتطم بخشب السرير ، وقبل أن أمدّ يدي الى وجهي لأتحسس ذلك الخيط الذي بدأ ينساب مدعوراً ، عرفت أنني أنزف ، وحين استدرتُ محدّقةً في وجهه ، رأيته يرتجف ، ويلقي بالمسدس بعيداً ، كما لو أنه يحاول دفع التهمة عن نفسه .."⁽⁴⁰⁾ . إن حركة الرأس هنا تعكس القوة التي تتمتع بها الشخصية في النفاذ داخل نفسية الآخر وتبيّن شدة تأثيرها فيه . فاستدارة الرأس هنا في قولها : (استدرتُ محدّقة في وجهه) دال يدل على قوة رسوخ (سلوى) في ذاكرة عمّها ، إذ يهزّ الجسد الرأس هنا ليؤكد مجال قوة الشخصية التي تتمتع به ، فالرأس هنا يعكس خطاب التفوّق على الآخر .

الخاتمة :

بعد دراسة لغة الجسد الأنثوي في رواية (زيتون الشوارع) خلصت الدراسة الى جملة من النتائج نوجزها في الآتي :

- عكست لغة الجسد الأنثوي الرؤيا التي يبثها ابراهيم نصر الله في روايته وفق سياقات ثقافية ، وأخرى تخلقها الذات وفق منظوراتها .
- استشفاف الدلالات النفسية والاجتماعية والثقافية للغة الجسد لدى المرأة .
- كشفت لغة الجسد الكثير مما تخفيه شخصية المرأة ، فظاهر المرأة غير باطنها .
- عكست لغة الجسد الأنثوي الممارسات والانتهاكات التي تتعرض لها المرأة من قبل المجتمع ، فتأطير جسد المرأة في الرواية كان عبر وضعيات وإيماءات تخلقها الذات مرة وأخرى تفرضها الثقافة والمجتمع ، مما يمنح الجسد ولغته بعداً رمزياً أيديولوجياً بامتياز .
- تتداخل لغة الجسد مع لغة السرد من أجل بناء إرساليته التواصلية ، فتستحيل الرواية الى الجسد ويتحول الجسد الى الرواية .

هوامش البحث :

- 1- جسد الانسان والتعبيرات اللغوية (دراسة دلالية ومعجم) ، محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2006 : ص 7.
- 2- لغة الجسد علم الكينات ، محمد جواد النوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2018 : ص 59.
- 3- اللغة والجسد ، الأزهر الزناد ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2017 : ص 267.
- 4- لغة الجسد في السيميائيات المعاصرة تحليل سيميولوجي للإيماءة في المسرح الجزائري مسرحية حمق سليم أنموذجاً ، سهيلة افيدة ، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر ، 2012 : ص 43 .
- 5- لغة الجسد وأثرها على إنجاز أهداف التفاوض التجاري ، عقبة الصباغ ، رسالة ماجستير في التسويق ، جامعة حلب ، سوريا ، 2015 : ص 57.
- 6- لغة الجسد في شعر المكفوفين بشار بن برد مثلاً ، د. يوسف ولد النّبيّة ، مجلة اللغة العربية ، المجلد 23 ، ع 3 ، 2021 : ص 463.
- 7- لغة الجسد ، محمد ممتاز ، دار خلود للنشر والتوزيع ، 2013 : ص 10.
- 8- فن التواصل والاقناع : دليلك الى النجاح في العمل والمجتمع ، ليلي شحرور ، الدار العربية للعلوم ناشرين ، بيروت ، ط1 ، 2009 : ص 177 .
- 9- الإشارات الجسمية ، دراسة لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل ، كريم زكي حسام الدين ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ط2 ، 2001 : ص 237.
- 10- رواية زيتون الشوارع ، إبراهيم نصر الله ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط4 ، 2012 : ص 20.
- 11- المصدر نفسه : ص 98-99 .
- 12- المصدر نفسه : ص 166.
- 13- المصدر نفسه : ص 182.
- 14- اللغة والحواس ، رؤية في التواصل بالعلامات غير لسانية ، محمد كشاش ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2008 : ص 8.

- 15- العين وتطورها الدلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي (دراسة دلالية إحصائية) ، مها أحمد محمد أبو حامد ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2010 : ص 7 .
 - 16- لغة الحركة بين النظرية والتطبيق ، عريب محمد عيد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 2010 : ص 143-144 .
 - 17- لغة العيون ، قراءة في خطاب العين في الشعر العربي القديم – دراسة أسلوبية - ، ضياء غني لفته وعلي محسن بادي ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2009 : ص 20 .
 - 18- ينظر : لغة الجسد ، علم وأسرار لغة الجسد في العمل ، كارول كينزي جومان ، مكتبة جرير ، ط1 ، 2010 : ص 43-44 .
 - 19- رواية زيتون الشوارع : ص 16 .
 - 20- المصدر نفسه : ص 132 .
 - 21- المصدر نفسه : ص 182 – 183 .
 - 22- المصدر نفسه : ص 199 .
 - 23- لغة الجسد في شعر المكفوفين بشار بن برد مثلاً : ص 470 .
 - 24- مباحث لغوية ، الحركات الجسمية في القرآن الكريم ، المحاولات النقدية للمعجمات القديمة والحديثة ، علم اللغة وعلم الكينيات ، محمد علي عبد الكريم الرديني ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 : ص 24 .
 - 25- رواية زيتون الشوارع : ص 35-36 .
 - 26- المصدر نفسه : ص 72 .
 - 27- المصدر نفسه : ص 166-167 .
 - 28 – المصدر نفسه : ص 183 – 184 .
 - 29- سيميائية الجسد في رواية أحلام مريم الوديعة لواسيني الأعرج ، إيمان توهامي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات – جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2012 – 2013 : ص 185 .
 - 30- فلسفة الجسد ، ميشيلا مارزانو ، ترجمة : نبيل أبو صعب ، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2011 : ص 75 .
 - 31- رواية زيتون الشوارع : ص 18 .
 - 32- انثروبولوجيا الحداثة والجسد ، دافيد لوبرتون ، ترجمة : محمد عريب صاصيلا منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ ، بدون طبعة : ص 75 .
 - 33- المصدر نفسه : ص 75 .
 - 34- رواية زيتون الشوارع : ص 167 .
 - 35- المصدر نفسه : ص 34 – 35 .
 - 36- مباحث لغوية ، الحركات الجسمية في القرآن الكريم : ص 36 .
 - 37 – رواية زيتون الشوارع : ص 36 .
 - 38- المصدر نفسه : ص 23 .
 - 39- يتم النص ، الجينياولوجيا الضائعة ، أحمد يوسف ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2002 : ص 183 .
 - 40- رواية زيتون الشوارع : ص 142
- المصادر والمراجع :

- رواية زيتون الشوارع ، إبراهيم نصر الله ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط4 ، 2012 .

قائمة المراجع :

- 1- كريم زكي حسام الدين ، 2001، الإشارات الجسمية ، دراسة لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ط2.
 - 2- دافيد لوبرتون ، أنثروبولوجيا الحداثة والجسد ، ترجمة : محمد عريب صاصيلا منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .
 - 3- محمد داود ، 2006، جسد الانسان والتعبيرات اللغوية (دراسة دلالية ومعجم) ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1.
 - 4- نبيل أبو صعب، 2011، فلسفة الجسد ، ميشيلا ماززانو ، ترجمة: مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1 .
 - 5- ليلى شحرور ، 2013، فن التواصل والاقناع: دليلك الى النجاح في العمل والمجتمع ، الدار العربية للعلوم ناشرين ، بيروت ، ط6- لغة الجسد ، محمد ممتاز ، دار خلود للنشر والتوزيع .
 - 6- محمد جواد النوري، 2018 ، لغة الجسد علم الكينات ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1.
 - 7- كارول كينزي جومان ، 2010، لغة الجسد ، علم وأسرار لغة الجسد في العمل ، مكتبة جرير ، ط1 .
 - 8- عريب محمد عيد ، 2010، لغة الحركة بين النظرية والتطبيق ، ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان.
 - 9- ضياء غني لفته وعلي محسن بادي ، 2009، لغة العيون ، قراءة في خطاب العين في الشعر العربي القديم – دراسة أسلوبية - ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1.
 - 10- الأزهر الزناد، 2017 ، اللغة والجسد ، مركز النشر الجامعي ، تونس.
 - 11- محمد كشاش ، 2008 ، اللغة والحواس ، رؤية في التواصل بالعلامات غير لسانية ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2008 .
 - 12- محمد علي عبد الكريم الرديني ، 2009، مباحث لغوية ، الحركات الجسمية في القرآن الكريم ، المحاولات النقدية للمعجمات القديمة والحديثة ، علم اللغة وعلم الكينات ، ، دار الهدى ، الجزائر .
 - 13- أحمد يوسف ، 2002، يتم النص ، الجينياولوجيا الضائعة ، منشورات الاختلاف ، ط1 .
- ثانياً - الرسائل الجامعية :
- 1- عقبة الصباغ ، 2015، لغة الجسد وأثرها على إنجاز أهداف التفاوض التجاري ، رسالة ماجستير في التسويق ، جامعة حلب ، سوريا.
 - 2- سهيلة افيدة، 2012، لغة الجسد في السيميائيات المعاصرة تحليل سيميولوجي للإيماءة في المسرح الجزائري مسرحية حمق سليم أنموذجاً ، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر .

- 3- إيمان توهامي، 2012 – 2013 ، سيميائية الجسد في رواية أحلام مريم الوديعة لواسيني الأعرج ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات – جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر.
- 4- مها أحمد محمد أبو حامد ، 2010، العين وتطورها الدلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي (دراسة دلالية إحصائية) ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين .
- ثالثاً – الدوريات :
- د. يوسف ولد النّبيّة، 2021، لغة الجسد في شعر المكفوفين بشار بن برد مثلاً ، مجلة اللغة العربية ، المجلد 23 ، ع 3 .